المساجدُ التَّاريخيَّةُ في مدينةِ جِدَّة: مسجدُ الشَّافعيّ ِأُنموذجًا

Historical Mosques in Jeddah: Al –Shafi'i Mosque as an Exemplar

د. وداد بنت عوض بطاء الجعيد

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بقسم العلوم الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الطائف، الطائف، المملكة العربية السعودية

الملخَّص:

تناولت الدِّراسة الحديث عن مسجد الشَّافعيِّ، باعتباره أحد أقدم المساجد التَّاريخيَّة في مدينة جِدَّة، من خلال تسليط الضَّوءِ على نشأته وتَطوُّرِهِ التَّاريخيِّ، وتحديد موقعه، وذكر مسَّمياته، ووصف عمارته وخَلُصت الدِّراسةُ إلى أهميَّة مسجد الشَّافعيِّ إذْ يُعَدُّ من أقدم المساجد في مدينة جِدَّة، كما أظهرت الدِّراسة أنَّ بناء المسجد كان انعكاسًا لبيئة مدينة جِدَّة، وبيَّنت وجود تشابُهٍ في البناء والتَّصميم بين مساجد جِدَّة التَّاريخيَّة وهو ما حتَّمتْهُ البيئة وطبيعة الموقع والمناخ.

الكلمات المفتاحية: جِدَّة – مسجد– الشَّافعيِّ – العتيق – جامع.

Abstract:

The study addressed Al–Shafi'i Mosque, as one of the oldest historical mosques in Jeddah, by shedding light on its emergence and historical development, identifying its location, listing its names, and describing its architecture. The study concluded that Al–Shafi'i Mosque is important as it is deemed one of the oldest mosques in Jeddah. The study also demonstrated that the construction of the mosque was a reflection of the environment of Jeddah, and showed the similarity in construction and design between the historical mosques of Jeddah, which was necessitated by the environment, nature of the site, and climate

Keywords: Jeddah –Mosque – Al–Shafi'i – Ancient.

١- المقدِّمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمدٍ، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ.

أمَّا بَعدُ:

فتعدُّ مدينة جِدَّة من أبرز موانئ الحِجَاز وأشهر مدنها بعد مَكَّةَ المكرَّمة والمدينة المنوَّرة، فقد تميَّزت بموقعها الحيويِّ والاستراتيجيِّ؛ كونها محطةً تجاريَّةً مهمَّةً لبقاع شتَّى، وبوَّابةً مهمَّةً للحرمين الشَّريفين، كما تزخر بالعديد من المواقع التَّاريخيَّة والأثريَّة المهمَّة التي تعكس التَّطوُّر الحضاريَّ، والثقَافيَّ ،والتَّاريخيَّ الذي شهدته هذه المدينة، والتي تُشكِّل ميدانًا خصبًا للدِّراسة والبحث ،وفي هذه الدِّراسة نسلِّطُ الضَّوءَ على أحد المساجد الأثريَّة في مدينة جِدَّة وأقدمها وهو مسجد الشَّافعيِّ؛ للتَّعريف به وبما يحتويه من عناصر معماريَّة وإعطاء صورةٍ تاريخيَّةٍ عنه، وقد اعتمدت الدِّراسة على الزِّيارة الميدانيَّة للمسجد، بالإضافة للمصادر والمراجع المتوفِّرة.

أهميَّة وأهداف الدِّراسة:

أولاً: التَّعريفُ بمدينة جِدَّة كأحدِ أقدمِ مدنِ الجزيرةِ العربيَّةِ، وإيضاح العمق التَّاريخيِّ لها.

ثانيًا: تسليطُ الضَّوءِ على مسجد الشَّافعيِّ، وإبرازِ دورهِ كأحدِ أقدمِ المساجدِ التَّاريخيَّة في مدينة جِدَّة.

ثالثًا: تتبُّع التَّطوُّرِ التَّاريخيَّ لمسجد الشَّافعيِّ، وحصرِ المعلوماتِ حول هذا الأمر، وتناوُلِها بالعرض، والتَّحليل، والتَّعليق إذا اقتضى الأمر.

الدِّراسات السَّابقة:

توجد دراسات تتحدَّث عن التُّراثِ العمرانيِّ بشكلٍ عامٍ في مدينة جِدَّة دون أنْ تكون هناك دراسةً علميَّةً تاريخيَّةً مستقِلَّةً عن مسجد الشَّافعيِّ – على حدِّ علمِ الباحثة– تظهر أهميتَّه كأحدِ أقدمِ المساجد في جِدَّة، فضلاً عن التَّطوُّرِ التَّاريخيِّ والعمرانِيِّ لهذا المسجد.

منهج البحث: المنهجُ التَّاريخيُّ الوصفيُّ.

خطَّة البحثِ:

تَمَّ تقسيم الدِّراسة إلى مقدمةٍ احتوت على أسباب اختيار الموضوع، وأهميَّة وأهداف الدِّراسة، والإشارة إلى الدِّراسات السَّابقة، ومنهج وخطَّة البحثِ، ثم تمهيدٍ تناول نبذةً تاريخيَّةً وجغرافيَّةً عن مدينة جِدَّة، واقتضت طبيعةُ الدِّراسةِ أنْ تُقَسَّم عدَّة محاور عند الحديث عن مسجد الشَّافعيِّ، وتفصيلها على النَّحو التَّالي:

- الموقع.
- النَّشأة والتَّطوُّر التَّاريخيُّ.
- التَّسمية.
- وصف المسجد (وصف المسجد من الخارج – وصف المسجد من الدَّاخل – المئذنة).
- الخاتمةُ، وتحتوي على أهمِّ النَّتائج التي تمخَّضت عنها الدِّراسة.

- قائمةُ للمصادرِ والمراجعِ.

٢- التَّمهيد: نبذة تاريخيَّة وجغرافيَّة عن جِدَّة:

تقع مدينة جِدَّة في غرب الجزيرة العربيَّة [١] على السَّاحِل الشَّرقيِّ للبحر الأحمر، بين دائرتي عرض (٢٥-٤٥،٢١ -٢١) شمالاً وخَطَّي طول (٥ - ١٩، ٢٠ - ١٩) شرقًا [٢].

ويحدُّها من الغرب البحر الأحمر، ومن الشَّرق مجموعة من التِّلال الصَّغيرة تليها سلاسل غير مُتَّصلة من الجبال الموازية لسلسلة جبال الحِجَاز العالية، ومن الشَّمال يحدُّها وادي خليص [٣]، أمَّا من الجنوب فَيُعَدُّ وادي فاطمة [٤] الحدَّ الجنوبيِّ لها [٥].

(١) البكري، أبو عبيد عبدالله البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا (ط٣، بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص٣٧١.

(٢) حمساء حبيش الدوسري، جدة النشأة والتطور التاريخي، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، ع ١١، س ١٤٣٤هـ/ ٢٠٢١م، ص٦٤.

(٣) وادي خليص: وخُليص وادٍ كثير الماء والزَّرع يقع شمال مكَّة، وهو اليوم يمدُّ جِدَّة بالماء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (ط٢، بيروت: دار صادر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٢، ص٣٨٧؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، (ط٢، مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ج٣، ص٥٦٦ - ٥٦٧.

(٤) وادي فاطمة: كان يسمى قديمًا باسم مَرُّ الظَّهران: وادٍ فحل من أكبر أودية الحِجَاز، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السُفُوح الشَّرقيَّة للسُّراة غرب الطَّائف، وله رافدان هما: نخلة الشَّاميَّة ونخلة اليمانيَّة، فإذا اجتمعا يسمى الوادي وادي الزِّبارة وفيه قُرىً عديدة، فإذا تعدَّى قرية أبي حصالي سُمِّيَ وادي فاطمة وفيه قُرىً عديدة، وتصبُّ فيه أوديةٌ عديدةٌ. البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٨، ص١٥٥٦ - ١٥٥٧.

(٥) فاطمة عبدالعزيز الحمدان، مدينة جدة الموقع، البيئة، العمران، السكان، (ط١، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٢٥.

ويعود الفضل في نشأتها ووجودها كميناءٍ بحريٍّ رئيسٍ إلى فجوة وحيدة تخترق سلسلة جبال الحِجَاز [١] أحدثتها عوامل التَّعرية المتمثِّلة في وادي غليل [٢] الذي أصبح الطَّريق الرَّئيس الذي يصلها بمكَّة المكرمَّة، بالإضافة إلى الشَّقِّ الطَّبيعيِّ في الشُّعب المرجانيَّة [٣] الذي أحدثته المجاري المائيَّة المنتهية إليه، وهو ما جعل منها ميناءً بحريًّا يخدم مكَّة المكرَّمة [٤].

ولموقع جِدَّة تأثيرٌ كبيرٌ على مُناخها فترتفع درجةُ حرارتها معظم أيام السَّنة؛ نتيجةً لوقوعها في نطاق العروض المداريَّة الحارَّة، وترتفع نسبه الرُّطوبة خلال فصل الصَّيف ممَّا يزيدُ من معدل الإحساس بالحرارة؛ حيث كثيرًا مَّا تصل الرُّطوبة إلى ١٠٠% خلال الصَّيف وتقِلُّ في فصل الشِّتاء [٥].

وقد اتَّسمت جِدَّة بأنَّها المدينة ذات الاسم الواحد على عكس الكثير من المدن التي تبدَّلت أسماؤها على مرِّ التَّاريخ [٦]، ولكن صورة نطقها كانت تختلف حسب التَّشكيلِ اللُّغَوِيِّ؛ فمنهم من يقول: **جُدَّة** بضم الجيم وتشديد الدَّال وتعني ضفَّة شاطئ النَّهر [٧]، وهناك من يقول: **جَدَّة** بفتح الجيم وتشديد الدَّال، وهي تعني: أم الأب أو أم الأم [٨]، ومنهم من يقول: **جِدَّة** بكسر الجيم وتشديد الدَّال ،وتعني شاطئ النَّهر [٩]،

---

(١) جبال الحجاز: سُمِّيَ حجازًا؛ لأنه يحجز بين تهامة ونجد، وهو إقليم الجبال الممتدَّة من خليج العقبة حتَّى منطقة عسير جنوبًا، وطوله من الشَّمال إلى الجنوب سبعمائة ميل، وعرضه من الشَّرق إلى الغرب ثلاثمائة وخمسون ميلاً، وتحدُّه من الغرب منطقة تهامة، ومن الشّرق جبال السُّراة، وأهم مدنه: مكَّة المكرَّمة، والمدينة المنوَّرة، والطَّائف. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، (د.ط، بيروت: دار صادر، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ج٥، ص٢٣١؛ عبدالجبار منسي العبيدي: الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، (ط١، الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ص ١٥.

(٢) وادي غليل: وادٍ يسيل من الحرازيَّة، يوازي أم السَّلم من الجنوب، ويجتمع معها في الرَّغامة بطرف جِدَّة من الشَّرق. البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٦، ص١٢٦٤.

(٣) الشُّعب المرجانيَّة: هي رواسب مرجانيَّة تمتدُّ على شكل سلسلة من الصُّخور فوق سطحِ الماء أو قريبة من السَّطح، وتتكوَّن بفعل رواسب المرجان وتراكم الأصداف، والرِّمال، والمحار بفعل الرِّياح، والأمواج التي ترتطم على هذه الشُّهب، فتتكوَّن بذلك أرضٌ جديدَةٌ. يوسف توني، معجم المصطلحات الجغرافية، (د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص٢٩٩.

(٤) الدوسري، جدة النشأة والتطور التاريخي، ص ٦٦.

(٥) الحمدان، مدينة جدة، ص٣٧.

(٦) عبدالإله بن عبد العزيز باناجه، تاريخ جدة من أقدم العصور حتى نهاية العصر العثماني، (ط١، مكة المكرمة: د.ن، ١٤٣٦هـ /٢٠١٥)، ص٥.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٠٨.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٠٧.

(٩) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (ط ٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص٣٤٦.

وقيل: تعني اليمن والسَّعادة [١]، وقد اتَّفق أكثر المؤرِّخين على أنَّ اللَّفظ الأول بضمِّ الجيم هو الأقرب للصِّحَّة [٢] مع أنَّ جميع المعاني السَّابقة تصف مدينة جِدَّة.

أمَّا ما ذُكِرَ بأنَّ قبرَ أمِّنا حوَّاء موجودٌ في مدينة جِدَّة؛ ولذلك اشتُقَّ اسم مدينة جِدَّة منها، فهو قول تناقلته قصص الموروث الشَّعبيِّ، وينقصه الدَّليلُ العلميُّ كما يصعب إثباته من النَّاحية التَّاريخيَّة [٣].

وترجع نشأة جِدَّة إلى ما قبل الإسلام، فقد بدأت نشأتها على يد مجموعة من صيادي البحر المجاورين لهذه المنطقة التي نشأت بها جِدَّة، اتَّخذوا العرائش مساكن متواضعة؛ ليرتاحوا بها بعد رحلات صيدهم الطَّويلة في البحر [٤]، ثم أقام بهذه المنطقة قضاعة وأبناؤه، واتَّخذوها لمساكنهم ومراعي أغنامهم [٥]، وهم من معد بن عدنان الجد التَّاسع للنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – مِمَّا يُدَلِّل على قِدَم مدينة جِدَّة، وقد تَسَمَّى أحد أبناء قضاعة بها، وهو: جُدَّة بن جرم بن رِبَان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة [٦].

في أواخر العصر الجاهليِّ انتقل مرفأ مكَّة المكرَّمة من جِدَّة إلى الشِّعيبة [٧]، وأصبحت جِدَّة ميناءً مساعدًا للشِّعيبة، وظلَّت كذلك إلى عهد الخليفة عثمان بن عفَّان – رضي الله عنه – الذي أعاد جِدَّة كميناءٍ لمكَّة المكرَّمة سنة ٢٦ هـ/ ٦٤٦م [٨].

وظلَّت جِدَّة منذ عهد عثمان بن عفَّان – رضي الله عنه – وإلى قيام دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) ميناءً لمكَّة المكرَّمة يستقبل الحُجَّاج عن طريق البحر؛ ممَّا أدَّى إلى ازدهار

(١) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية، (ط٣، الطائف: مكتبة المعارف، د.ت)، ص٥.

(٢) باناجه، تاريخ جدة، ص٥.

(٣) ينظر حول ذلك أحمد بن محمد الحضراوي، الجواهر المعدة في فضائل جدة، تحقيق: علي عمر، (ط١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢)، ص ٢٨،٢٩؛ حمد الجاسر، جدة القديمة وسكانها، مجلة العرب، مج ١٧، ع ١،٢، س ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص١١٥،١١٦؛ باناجه، تاريخ جدة، ص١٠-١٢.

(٤) عبد القدوس الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، (ط٤، جدة: دار المنهل للنشر، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ج١، ص٦٩.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١١٥.

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٧؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط٤، بيروت: دار الساقي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج٨، ص١٣.

(٧) الشِّعيبة: ميناءٌ على ساحل البحر الأحمر، كان مرفأ مكَّة المكرَّمة ومرسى سفنها قبل جِدَّة، ومكان الشِّعيبة اليوم جنوب جِدَّة بحوالي ٦٨كم. البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٥، ص٩٢٩.

(٨) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/= =١٩٩٨م)، ج٣، ص٣١١، البتنوني، الرحلة الحجازية، ص٥-٦.

أسواقها وتجارتها ونموِّها شيئًا فشيئًا؛ فلم تَعُدْ ميناءً لمكَّة المكرَّمة فقط، بل للحِجَاز، وأصبحت من أكبر موانئ الشَّرق.

وقد شهدت جِدَّة تطوُّرًا ونموًّا حضاريًّا وعمرانيًّا خلال الفترات التَّاريخيَّة التي مرَّت بها، ولا زالت تحتفظ برونقها الحضاريِّ ومعالمها الأثريَّة من منشآتٍ عمرانيَّةٍ، والتي كانت تعبيرًا عن البيئة الطَّبيعيَّة التي تُعَدُّ المصدر الأساسيَّ لمواد البناء التي استخدمها سكان المدينة، ومن أبرز المعالم الأثريَّة المساجد والتي تميَّزت جِدَّة بها، ونحن في هذه الدِّراسة سنلقي الضَّوء على أحد المساجد في جِدَّة، وهو مسجد الشَّافعيِّ كأنموذجٍ للتَّطوُّرِ العمرانيِّ الذي شهدته هذه المدينة.

٣- مسجد الشَّافعيِّ:

١- الموقع:

يُعَدُّ مسجد الشَّافعيِّ من أقدم المساجد في جِدَّة وأكبرها وأجملها من حيث بناء الطِّراز القديم، ويذكر ابن فرج [(١)] أنَّه أول مسجد بُني في جِدَّة، ويقع داخل المنطقة التَّاريخيَّة، أو ما يُسَمَّى بجِدَّة التَّاريخيَّة[(٢)].

ويقع مسجد الشَّافعيُّ في حارة المظلوم [(٣)]، ويطِلُّ من جهة الجنوب على سوق الجامع [(٤)] بجانب سوق الصَّاغة والفضِّيَّات، ويحدُّه شَرْقًا سوق النَّسيج والملابس المعروف بسوق البدو، وتحيط به المنازل والأسواق [(٥)] (شكل ١).

---

(١) عبد القادر بن أحمد بن فرج الشافعي، السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة، تحقيق: علي محمد عمر، (د.ط، بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ص٤٧.

(٢) جِدَّة التَّاريخيَّة: تُعْرَف محليًّا باسم جِدَّة البلد، وتقع وسط مدينة جِدَّة، ويعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، بها عدد من المباني والمعالم التَّاريخيَّة، وتتكوَّن من أربع حارات رئيسة هي: حارة المظلوم، حارة الشَّام، حارة اليمن، حارة البحر، وكان يضُّمها سورٌ يحيط بها له أبوابٌ متعدِّدةٌ. عدنان عبد البديع اليافي، جدة في أعين الرحالة، (ط١، جدة: د.ن،١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج١، ص٣٠٣.

(٣) حارة المظلوم: تقع شرق مدينة جِدَّة، وقيل: إنَّها سُمِّيت بهذا الاسم؛ نسبةً للسيد عبد الكريم البرزنجي المدنيِّ الذي قُتِل ظلمًا عام (١١٣٦هـ /١٧٢٣م)، وتُعَدّ من أكثر حارات جِدَّة ازدحامًا. حول هذا الموضوع ينظر ابن فرج، السلاح والعدة، ص ٥٥؛ محمد يوسف طرابلسي، جدة حكاية مدينة، (ط٢، جدة: د.ن،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص١٧٩-١٨٠.

(٤) سوق الجامع: يقع في حارة المظلوم، ويمتدُّ غرب سوق البدو من بيت أبي العينين شرقًا مرورًا بمسجد الشَّافعيِّ حتَّى بيت باديب وبداية شارع الصَّنيع غربًا، بمسافة ٢٥٠ مترًا، وسُمِّيَ بسوق الجامع؛ نسبةً للجامع العتيق (مسجد الشافعي). اليافي، جدة في أعين الرحالة، ص٢٤٦.

(٥) الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ص٥٦٦.

شكل١: إحداثيَّات موقع مسجد الشّافعيِّ على خرائط Google

٢- النَّشأة والتَّطوُّر التَّاريخيُّ:

قيل: إنَّهُ أول مسجد بُنيَّ في جِدَّة، وكان بنائه في زمن الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وبأمر منه [١]، ويذكر الأنصاريُّ [٢] أنَّ إنشاء هذا المسجد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قولٌ فيه نظر؛ وذلك لأنَّ جِدَّة لم تكن بلدًا في عهد عمر بن الخطاب فكيف يُبنى فيها مسجد وهذا القول غير صَحيحٍ، وذلك للآتي:

- أنَّ جِدَّة مدينَةٌ قديمةٌ عُرِفت من العصر الجاهليِّ كما ذكرنا سابقًا.
- عندما أُسِرَ نوفل [٣] يوم بدر قال له النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –: افدِ نفسك برماحك التي في جِدَّة فقال: والله ما عَلم أحدٌ أنَّ لي بجِدَّة رماحًا بعد الله غيري، أشهد أنَّك رسول الله، ففدى نفسه بها وكانت ألف رمح [٤].

---

(١) ابن فرج، السلاح والعدة، ص ٤٧.

(٢) الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ص٥٦٤.

(٣) نوفل: هو نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيُّ الهاشِميُّ، ابن عم النَّبِيِّ ِ – صلى الله عليه وسلم –، كان أَسَنَّ من أسلم من بني هاشم حيًّ من عَمَّيه حمزة والعباس. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، ج ٦، ص٣٧٨.

(٤) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٣٧٨.

- في عام ٧هـ/٦٢٨م، استقبلت جِدَّة أبا موسى الأشعري [١] من اليمن مع عدد من الأشعريِّين، ونزلوا بجِدَّة، ثمَّ إلى المدينة؛ لمبايعة النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – وإشهار إسلامه [٢].
- في عام ٨هـ / ٦٢٧م، استعمل النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – الحارث بن نوفل [٣] على جِدَّة؛ فلهذا لم يشهد غزوة حنين [٤]، ممَّا يُبَرْهِن على أنَّ جِدَّة كانت بلدًا مَأْهولاً بالسُّكَّان، حتَّى أنَّ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – استعمل عليها رجلاً ليدير شؤونها.

وقد شَهِد مسجد الشَّافعيِّ خلال العصور الإسلاميَّة عمليَّاتِ تعميرٍ وتجديدٍ، ومن ذلك ما عمَّره الملك المظفَّر يوسف بن عمر بن رسول [٥] أحد ملوك اليمن، ومن بقايا عمارته مئذنته التي تدلُّ في عمارتها على الطِّرازِ الأيوبِيِّ الذي ظهر في مصر وبلاد الشَّام واليمن، وكذلك ممَّا عمَّره صهريج المياه الذي يقع في أسفل صحن المسجد [٦] ومازال حتَّى وقتنا الحاضر.

---

(١) أبو موسى الأشعريُّ: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، من بني الأشعر، قدم مكَّة المكرَّمة عند ظهور الإسلام فأسلم وهاجر إلى الحبشة، استعمله النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم – على زبيد وعدن، وولاَّهُ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – البصرة، واستعمله عثمان بن عفان – رضي الله عنه – على الكوفة، وكان أحد الحكمين بصفين، توفي في الكوفة سنة ٤٤هـ/٦٦٤م. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٨١.

(٢) محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج١، ص ٢٦٢.

(٣) الحارث بن نوفل: هو الحارث بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم الهاشميُّ القرشيُّ، توفي بالبصرة حوالي سنة ٣٥هـ/٦٥٥م. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٦٩٦.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص٣١٢.

(٥) الملك المظفر: يوسف بن عمر بن علي بن رسول، ثاني ملوك الدولة الرسولية، ولد بمكَّة المكرَّمة سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م، وتولى= =الحكم بعد مقتل والده سنة ٦٤٧هـ/١٢٥٠م، تَمَيَّز حكمه بالعديد من الجهود السِّياسيَّة والعسكريَّة و العمرانيَّة، وهو أوَّل من كسا الكعبة المشرَّفة من داخلها وخارجها، توفي سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م. علي بن الحسن الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: عبدالله الحبشي، (ط١، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ج١، ص٨٧؛ خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٨، ص٢٤٣.

(٦) ابن فرج، السلاح والعدة، ص ٤٨،٤٩.

كما عمَّره الشَّريف حسن بن عجلان (٧٩٨-٨٢٩هـ/١٣٩٥-١٤٢٦م) [١] يُبَرْهِنُ على ذلك النَّقش الموجود على باب المسجد [٢]، وكان ممَّا فيه اسم الشَّريف حسن بن عجلان (شكل٢).

شكل٢: نقوش ذكر فيها اسم الشَّريف حسن بن عجلان.

وفي عهد السُّلطان المملوكيِّ الأشرف برسباي [٣] أرسل إلى جِدَّة سعد الدين ابن المرأة [٤] سنة (٨٣٠هـ/١٤٢٧م)؛ لتعمير المسجد، وعيَّن له مُؤَذِّنًا، وخطيبًا للجمعة، ووقَّادًا، ومُكَبِّرًا، وفرَّاشًا، وجعل نفقتهم

(١) حسن بن عجلان: هو حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني، يُلَقَّب بدر الدين، ولي إمرة مكَّة من غير شريك، توفي بالقاهرة سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٣٥م. الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٤٧.؛ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت)، ج٣، ص٢٤٣.

(٢) الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ص٥٦٥.

(٣) الأشرف برسباي: هو الأشرف برسباي الدقماقي الظَّاهريُّ، كان من مماليك الأمير دقماق وأهداه إلى الظَّاهر برقوق فأعتقه واستخدمه في الجيش، وبعد وفاة الظَّاهر استطاع الوصول إلى الحكم سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م، وفي عهده فُتِحَت قبرص، توفي سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م. محمد بن أحمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (القاهرة: مطابع الشعب، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)، ج٢، ص٧٩.

(٤) سعد الدين ابن المرأة: هو سعد الدين إبراهيم بن يوسف القبطيُّ الفوى المصريُّ، الشهير بابن المرأة، عُين ناظرًا على جِدَّة في عهد المماليك. النجم عمر بن فهد بن محمد بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج٣، ص ٦٣٧.

على المراكب التي ترد إلى جِدَّة، وجَدَّد مِئذنته، كما بدأ في بناء ميضأته [١] ولم يكملها [٢]، كما جَدَّد عمارته السُّلطانُ المملوكيُّ قنصوه الغوري [٣].

وفي سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٥م قَدِم إلى جِدَّة تاجِرٌ من الهند اسمه محمد علي، ومعه جميع مؤنه التي يحتاجها لبناء المسجد من أخشاب، ودعائم، وكراسيها منجورة من أرض الهند، وعمَّر بها المسجد بشكلٍ جميلٍ وعمارةٍ حسنةٍ، بعد أنْ أزال عمارته القديمة ولم يبق إلاَّ على المئذنة، ورفع أرض المسجد بالدَّفن بعد أنْ كان ينزل إليها بحوالي أربع درجات، أمَّا المنبر فقد تمَّ إنشاؤه في جِدَّة بيد معلمٍ يُسَمَّى أبو العيد النَّجار [٤].

وبالمال الذي أرسل له من بعض وزراء الهند بنى التَّاجر محمد علي بيوتًا ودكاكين، ولكنَّه توفي قبل اكتمال كتابه الحجَّة التي تشهد بوقف هذه المنشآت للمسجد، واستمر الجامع ليس له ما يستعان به على إقامة شعائره من أوقاف[٥]، وفي وقتنا الحاضر يوجد منزل موقوف على هذا المسجد، ويؤجَّر ويُدَار من قبل وزارة الأوقاف بالمملكة العربيَّة السُّعوديَّة ويُسَمَّى وقف الشَّافعيِّ (شكل٣، ٤)، كما يوجد عدَّة أوقاف أُخرى يُصْرَف منها على شؤون المسجد تتمثَّل في ٥٤ دكانًا و ٢١ دارًا [٦].

---

(١) الميضـــأة: مكانٌ يُخَصَّـــص بجوار المســـاجد وأماكن الصَّـــلاة به أحواض ومراحيض للتَّطَهُّر. محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـــ/١٢٥٠-١٥١٧م)، (ط١، القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص١١٨.

(٢) النجم بن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص٦٣٨،٦٣٧.

(٣) جارالله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن فهد، حُسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق: علي عمر، (ط١، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٢٦.

(٤) ابن فرج، السلاح والعدة، ص ٤٨.

(٥) ابن فرج، السلاح والعدة، ص ٤٨.

(٦) عبدالله بن زاهر الثقفي، العمارة في مدينة جدة في العصـر العثماني ٩٢٣-١٣٣٤هـــ /١٥١٧-١٩١٦م، (ط١، الرياض: دارة الملك عبد العزيز،١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م)، مج١، ص١٤٧

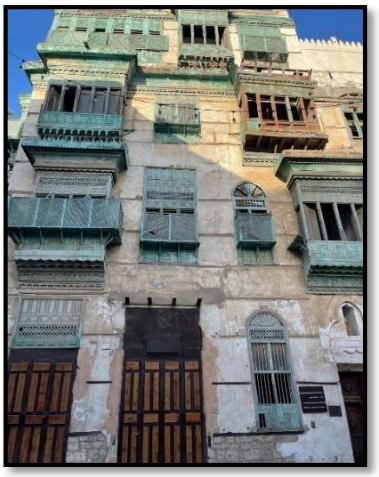

شكل٣: منزل موقوف لمسجد الشَّافعيِّ.

شكل٤: لوحة تبين وقف المنزل لمسجد الشَّافعيِّ.

وقد شهد مسجد الشَّافعيِّ في العصر الحالي عمليَّة ترميم على نفقة الملك عبد الله بن عبد العزيز – رحمه الله – مع الحفاظ على شكل المسجد القديم ونقوشه الإسلاميَّة الفريدة، كما يُعَدُّ أحد مشاريع البرنامج الوطنيِّ للعناية بالمساجد التَّاريخيَّة والذي تُنَفِّذُه مؤسسة التُّراث الخيريَّة بالشَّراكة مع وزارة الشُّؤون الإسلاميَّة، والهيئة العامَّة للسِّياحة والآثار [١].

٣- التَّسمية:

أُطلق على مسجد الشَّافعيِّ عِدَّة مسمَّيات، وهي كالآتي:

الجامع العتيق، والعتيق تعني في اللغة: القديم من كلِّ شيءٍ [٢]، ممَّا يدلُّ على قِدَم هذا المسجد ومكانته، ويُعِدُّه البعضُ أوَّل مسجدٍ في جِدَّة.

مسجد الشَّافعيِّ، وذلك بعد تجديد المسجد على يد الملك المظفر الأيوبيِّ، والذي كان شافعيَّ المذهب، وعلى هذا الأساس جرى تسمية المسجد بهذا الاسم [٣].

(١) هدايت الله نثار أحمد، المسجد العتيق يضئ جدة: مسجد الإمام الشافعي، مجلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س ٥٢، ع٦٠٤، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٦٧.

(٢) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج٢٦، ص ١٢٢.

(٣) يبدو أنَّ تسمية المساجد في جِدَّة بحسب المذاهب الفقهيَّة كان سائدًا، فبالإضافة إلى مسجد الشَّافعيِّ يوجد مسجد الحنفيّ. حول ذلك ينظر عبدالإله باناجة، مساجد جدة التاريخية: مسجد الحنفي ومقصورة باناجة دراسة تاريخية حضارية، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، مج٢٠، ع١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ص٢٠٤.

المسجد الجامع، والمسجد الجامع الذي تكون مساحته كبيرة – ويقع وسط المدينة – وواسعة؛ ليتسع لعددٍ كبيرٍ من المصلِّين لأداء صلاة الجمعة وغيرها من الصَّلوات الخمس، والصَّلوات العامَّة في المواسم والأعياد [١]، وهذا ينطبق على مسجد الشَّافعيِّ؛ فَسُمِّيَ بالجامع.

٤- وصف المسجد:

- **وصف المسجد من الخارج:**

بُني مسجد الشَّافعيِّ على شكلٍ مستطيلٍ غير منتظم الأضلاع، وهذا النَّمط من البناء هو السَّائد في المساجد الأثريَّة والتَّقليديَّة وتبلغ مساحة المسجد ١٠٩٣م٢، ويبلغ طول ضلعه الجنوبيّ ٤١،٨م، وضلعه الشَّماليّ ٥٢،٧م، وضلعه الشَّرقيّ ٢٦،١٨م، أمَّا ضلعه الغربيّ فيبلغ ١٤،٦م [٢].

وقد استُخْدِم في بنائه المداميك [٣] من الحجر المنقبيِّ وهو الحجر المرجانيُّ الذي يتمُّ جلبه من الشَّواطئ القريبة، والأخشاب، لتسقيف المسجد، أمَّا الزخارف فمصنوعةٌ من الجبس والتي تُعْرَف محليًّا باسم النَّورة [٤].

وللمسجد أربع واجهاتٍ وتمثِّل الواجهة الشَّرقيَّة للمسجد واجهة جدار القبلة التي يتوسَّطها بروز المحراب (شكل ٥)، وينتهي بروز المحراب بقمَّةٍ مخروطيَّةِ الشَّكل تعلوه لوحةٌ زخرفيَّةٌ مربعَّة الشَّكل بداخلها زهرةٌ يتوسَّطها نافذةٌ دائريَّةٌ مغلقةٌ بأخشابٍ صغيرةٍ تشبه الرُّوشان (شكل ٦،٧).

---

(١) اليافي، جدة في أعين الرحالة، ص١٩٦

(٢) الثقفي، العمارة في مدينة جدة، مج١، ص١٤٧.

(٣) المداميك: مفردها مدماك، وهي كلُّ صفٍّ من اللَّبِن، أو الطُّوب، أو الحجارة. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٤٢٩.

(4) Hidaya Abbas, AL-Jami, al- Atiq Oldest Mosque in Jidda, Journal of Islamic Thought and Civilization, V4, P.12.

شكل٥: الواجهة الشَّرقيَّة يتوسَّطها بروز محراب القبلة.

شكل٦: بروز المحراب في الواجهة الشَّرقيَّة.

شكل٧: بروز المحراب والزَّخارف التي تعلوه.

وعلى يمين بروز المحراب ثلاثُ نوافذ طويلة مستطيلة الشَّكل فوق كلِّ نافذةٍ ثلاث فتحاتٍ بأشكالٍ هندسيَّةٍ لكنَّها مغلقةٌ (شكل ٨)، وعلى يسار البروز نافذتان بنفس الشَّكل المستطيل، وتعلوها كذلك ثلاثُ فتحاتٍ مغلقةٍ (شكل ٩)، ثُمَّ بابٌ خشبيٌّ يعلوه قوسٌ ثلاثيُّ الشَّكلِ (شكل ١٠)، ومن الملاحظ أنَّ هذه الطّريقة في التَّصميم والبناء تتشابه في أكثر من مسجد في جِدَّة منها: مسجدُ الحنفيُّ ومسجد المعمار [١].

شكل٨: النَّوافذ على يمين بروز المحراب.

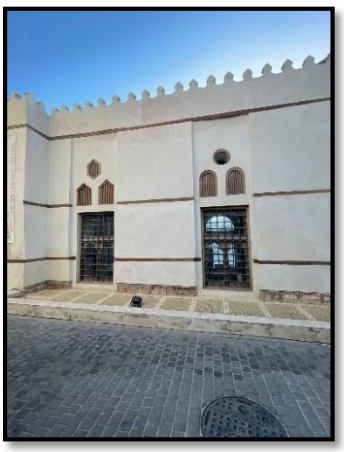

شكل٩: النَّوافذ على يسار بروز المحراب

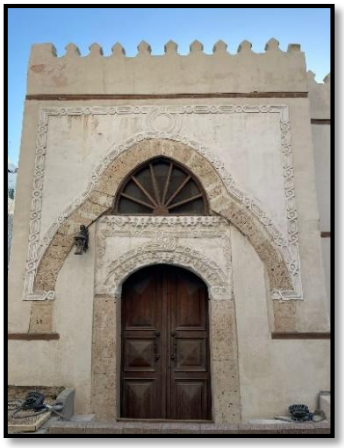

شكل١٠: باب المسجد في الواجهة الشَّرقيَّة.

أمَّا الواجهة الجنوبية من المسجد فيتوسَّطها المدخل الرَّئيس، وهو عبارة عن: بابٍ خشبيٍّ كبيرٍ ذي مصرعين أحدهما: إلى اليمين، والآخر: إلى اليسار، مزخرفٌ بنقوشٍ نباتيَّةٍ وهندسيَّةٍ أقرب إلى النُّقوش

(١) أنظر حول وصف مسجد الحنفيِّ ومسجد المعمار باناجة، مساجد جدة التاريخية: مسجد الحنفي، ص٢٠٥؛ الثقفي، العمارة في مدينة جدة، مج١، ص١٦٠.

الهنديَّة في الشَّكل، ويعلو المدخل ثلاثُ لوحاتٍ كتابيةٍ (شكل ١١)، وهذا يفسر التَّجديد الذي حدث على يد الخواجا محمد علي القادم من الهند، فقد نقل معه تأثيراتِ بلاده إلى جِدَّة، ولم ينقل الأخشاب ومواد البناء فقط. وللباب الرَّئيس في الجهة اليُمنى خوخة [١] تتَّسع لشخصٍ واحدٍ وقوسٍ من الأعلى وسط نقوشٍ زخرفيَّةٍ جميلةٍ (شكل ١٢)، وعند الدُّخول إلى المسجد ننزل إليه بحوالي أربع درجاتٍ، وهذا يُبَرْهِن على قِدَم المسجد، فمع مرور الزَّمن ارتفعت الشَّوارع والأبنية المحيطة به (شكل ١٣).

شكل١١: المدخل الرَّئيس في الجهة الجنوبيَّة.

شكل١٢: الخوخة في المدخل الرَّئيس للمسجد.

شكل١٣: المدخل الرَّئيس من الدَّاخل.

وعلى جانبي الباب الرَّئيس توجد ثلاث نوافذ طويلة تعلوها أقواس مدبَّبة (شكل١٤)، وعلى يسار المدخل الرَّئيس توجد مئذنة المسجد في الزَّاوية الجنوبيَّة الغربيَّة (شكل١٥).

(١) الخوخة هي: المخترق بين شيئين سواء بين دارين أو طريقين، وهي: بابٌ صغيرٌ في الباب الكبير للمبنى يتَّسع لمرور شخصٍ واحدٍ فقط للاستعمال اليوميِّ؛ لتسهيل دخول الناس دون الحاجة إلى فتح الباب الكبير. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص٣٢٠؛ أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص٤٣.

شكل١٤: نافذة في الواجهة الجنوبيَّة للجامع. شكل١٥: المئذنة في الزَّاوية الجنوبيَّة الغربيَّة.

أمَّا الواجهة الشَّماليَّة للجامع فتحتوي على مدخلين، أحدهما أكبر من الآخر (شكل١٦) يقابل المدخل الأكبر للمدخل الرَّئيس في الواجهة الجنوبيَّة، ويتكوَّن من تصميمٍ ذي قوسٍ مزخرفٍ (شكل١٧) وعلى الجانب الأيسر منه المدخل الآخر وهو أصغر وتعلوه قوسٌ ثلاثيٌّ مُدَبَّبٌ (شكل١٨)، وعلى يساره نافذتان مستطيلة الشَّكل تعلوها أقواس مدبَّبة (شكل١٩)، وهذا المدخلُ الصغير والنافذتان تفتح جميعها على قاعه الصَّلاة الدَّاخليَّة مباشرة، كما أُضِيف في الطَّرف الغربيِّ منها: دورات المياه الخاصَّة بالمسجد

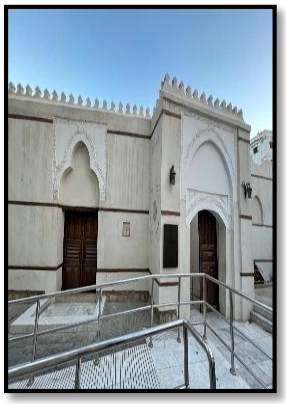

شكل١٦: المدخلان في الواجهة الشَّمالية.

شكل١٧: المدخل الأكبر في الواجهة الشَّماليَّة.

شكل١٨: المدخل الأصغر في الواجهة الشَّماليَّة.

شكل١٩: المدخل الأصغر والنافذتان والتي تفتح على قاعة الصَّلاة.

أمَّا الواجهة الغربيَّة فهي بسيطة، وتحتوي على مدخلٍ للنِّساء، ويبدو أنَّه قد وُجِدَ حديثًا مع التَّجديدات التي حدثت للجامع (شكل٢٠).

شكل٢٠: مدخل النِّساء في الواجهة الغربيَّة

- وصف المسجد من الدَّاخل:

يؤدِّي المدخل الرَّئيس إلى صحن المسجد، وهو فناءٌ مكشوفٌ مستطيلُ الشَّكلِ غير منتظم الأضلاع، يبلغ طول ضلعه الشَّماليِّ ١٧،٢م، وطول ضلعه الجنوبيِّ ١٩،٨م، وطول ضلعه الشَّرقيِّ ١٨،٢م، وطول ضلعه الغربيِّ ١٨،٦م [١]، وتحيط بالفناء المكشوف أربعة أروقة، ويوجد صهريجٌ كبيرٌ في أسفل الصَّحن تمَّ تعميره على يد الملك المظفَّر يوسف ملك اليمن سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٥١م [٢]، وتُسْهِم مياه الأمطار التي تسقط على سطح المسجد في تعبئة الصَّهريج وتتسرَّب بواسطة الميازيب الخشبيَّة (شكل٢١،٢٢،٢٣).

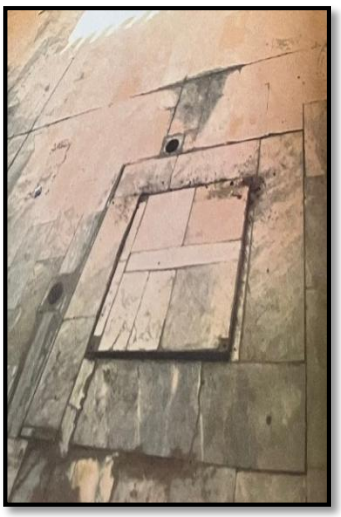

شكل٢١: باب الصَّهريج في الصَّحن [٣].

شكل٢٢: ميزاب بالجهة الجنوبيَّة للمسجد.

شكل٢٣: صورة تبين الميازيب في الجهة الغربيَّة للمسجد، ويظهر كذلك فتحات تصريف الماء في أرض الصَّحن.

ويعتبر الرُّواقُ الشَّرقيُّ رواق القبلة، وهو محمولٌ على ثلاثةِ صفوفٍ كلُّ صفٍّ يحتوي على ستَّةِ أعمدةٍ، وهذه الصُّفوف توازي جدار القبلة، ومعقودةٌ بعقودٍ مدبَّبةٍ (شكل٢٤)، يتوسَّطها قُبَّةٌ مثمَّنةُ الشَّكلِ (شكل٢٥).

(١) الثقفي، العمارة في مدينة جدة، مج١، ص١٤٨.

(٢) ابن فرج، السلاح والعدة، ص٤٧.

(٣) الثقفي، العمارة في مدينة جدة، مج٢، ص٦١١.

شكل٢٤: رواق القبلة.

شكل٢٥: قبة المسجد من الدَّاخل [١].

يتوسَّط جدار القبلة المحراب، وهو عبارة عن: تجويفٍ على شكلِ نصفِ دائرةٍ متوَّجٍ بعقدٍ مدبَّبٍ، ويوجد على جانبيه عمودان من الجصِّ، يعلو كلَّ عمودٍ تاجٌ مزخرفٌ بما يشبه المقرنصات [٢] (شكل٢٦)، وزُيِّنت واجهةُ المحرابِ بزخارفَ كتابيَّة بالخطِّ الكوفيِّ، آيات قرآنيَّة (شكل٢٧)، ويوجد تحت المحرابِ الحاليِّ محرابٌ قديمٌ يتجاوز عمره الألف عام، عُثر عليه مع عمليَّاتِ التَّنقيبِ والبحثِ للمسجد مِمَّا يُبَرهِنُ على قِدَم المسجد (شكل٢٨).

كما يوجد محرابٌ خارجيٌّ صغيرٌ في صحن المسجد يُسْتَخْدَم إذا اشتدَّت الحرارة في قاعة الصَّلاة الدَّاخليَّة، فيخرج الإمام والمصلُّون لأداء الصَّلاة في الهواءِ الطَّلقِ (شكل٢٩).

شكل٢٦: المحراب.

شكل٢٧: الزَّخارف الكتابيَّة في المحراب.

شكل٢٨: صورة للمحراب القديم.

شكل٢٩: المحراب الخارجيِّ.

(١) الثقفي، العمارة في مدينة جدة، مج٢، ص٦٠٩.

(٢) المقرنصات: هي حليةٌ معماريَّةٌ تتكوَّن من قطع من الحجر، أو الخشب، أو غيره على شكلِ عقودٍ صغيرةٍ، الجزءُ العلويُّ منها بارزٌ عن الجزءِ السُّفليِّ، وتوضع بجوار بعضها فتكوِّن كرنيشًا بارزًا، وللمقرنصات عدَّة أشكالٍ. أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص١١٣.

وبجانب المحراب يوجد منبرٌ معلَّقٌ يحيط به درابزينٌ خشبيٌّ يُصعد إليه بسُلَّم، وتُزَيِّن فتحة المنبر زخارف جصِّيَّة من الأعلى (شكل٣٠،٣١)، وتوجد هذه المنابر عادة في المساجد الأخرى بجِدَّة مثل: مسجد الحنفيِّ، وقد صمَّمَهُ ونَفَّذ زخرفته المعلم أبو العيد النَّجار [١].

شكل٣٠: منظر عام للمنبر.

شكل٣١: صورة توضِّح المنبر والدَّرج الذي يوصل إليه

كما ترتبط أعمدة المسجد من الأعلى فيما بينها بأربطةٍ خشبيَّةٍ؛ لتساعد على زيادة متانتها، وقدرتها على تحمل الثِّقل الواقع من سقف المسجد، وتُسْتَخدم كذلك هذه الأربطة؛ لتعليق المصابيح ووسائل الإنارة للمسجد، وكذلك المراوح التي تُسْهِمُ في تهوية المسجد (شكل٣٢).

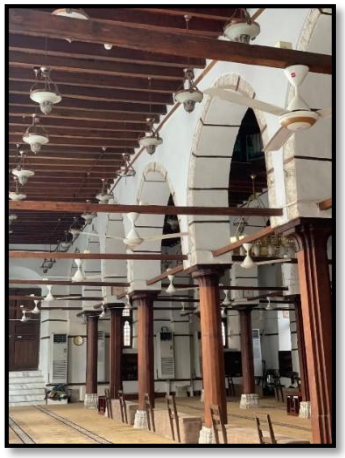

شكل٣٢: الأربطة الخشبيَّة بين الأعمدة في رواق القبلة.

ويقابل رواق القبلة الرُّواقُ الغربيُّ، ويحتوي على مصلى للنِّساء، أمَّا الرُّواقُ الجنوبيُّ فيتكوَّن من مسقطٍ أفقيٍّ مستطيل الشَّكل يعتمد على الجدارِ الجنوبيِّ، وصفٍّ من الأعمدة بواقع ثلاثة أعمدةٍ، والرّواق

(١) ابن فرج، السلاح والعدة، ص٤٨.

الشَّماليُّ كذلك يتكوَّن من مسقطٍ أفقيٍّ مستطيل الشَّكل يعتمد على الجدار الشَّماليِّ وصفٌّ من الأعمدة بواقع ثلاثةِ أعمدةٍ (شكل٣٣،٣٤).

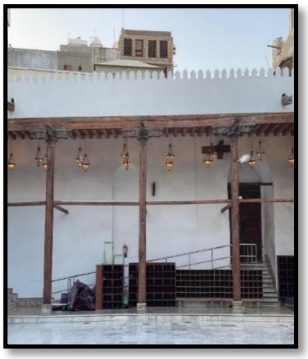

شكل٣٣: منظر عام للرُّواق الشماليّ.

شكل٣٤: أحد الأعمدة المطلَّة على الصَّحن.

- **المِئْذنة:**

تقع في الرُّكنِ الجنوبيِّ الغربيِّ من المسجد [(١)]، وتُعَدُ أقدم مئذنة باقية في مدينة جِدَّة، وهي مثمَّنة الشَّكل، وتتكوَّن من ثلاث طوابق تصغر كلَّما اتَّجهنا للأعلى (شكل٣٥).

الطَّابقُ السُّفليُّ للمئذنةِ أكبرُ قليلاً من الطَّابقِ الأوسطِ، ويفصل بينهما شرفةٌ زُيِّنت بالمقرنصات ويحيط بها ساترٌ من الخشب زُيِّن بزخرفةٍ على شكلِ معيَّناتٍ، ويفتح فيها بابٌ صغيرٌ يصعد إليه المؤذِّن من درجٍ داخل تجويف المئذنة؛ لرفع الأذان، ثُمَّ الطَّابقُ العلويُّ الذي يأخذ شكلاً دائريًّا، وهو أصغرُ من الطَّابق الأوسط، ويفصل بينهما شرفةٌ زُيِّنت بالمقرنصات تُشبه الشُّرفة التي تفصل بين الطَّابق السُّفليِّ والأوسط لكنَّها أصغر حجمًا، ويعلو الطَّابقَ العلويَّ الهلالُ (شكل٣٦).

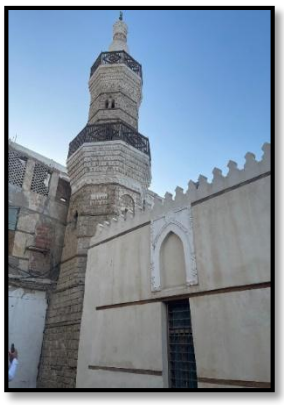

شكل٣٥: مئذنة مسجد الشَّافعيِّ.

شكل٣٦: صورة للمئذنة من داخل المسجد.

(١) من الملاحظ أنَّ أغلب المساجد في جِدَّة التَّاريخيَّة تقع مئذنتها في الرُّكن الجنوبيِّ الغربيِّ لصحن المسجد مثل: مسجد الحنفيِّ ومسجد المعمار. للمزيد من المعلومات حول هذا الأمر ينظر الثقفي، العمارة في مدينة جدة، مج١، ص١٥٤- ١٥٩.

٥-الخاتِمَة

توصَّلت الدِّراسةُ إلى عددٍ من النَّتائجِ، وهي كالتَّالي:

١- أهميَّة مدينة جِدَة التَّاريخيَّة والجُغرافيَّة؛ حيث تعود نشأتها إلى ما قبل الإسلام، وتتميَّز بموقعها الحيويِّ والإستراتيجيِّ.

٢- يُعَدُّ مسجد الشَّافعيِّ من أقدم المساجدِ في مدينة جِدَّة؛ حيث يوجد محرابٌ تحت المحرابِ الحاليِّ يتجاوز عمره الألف سنة عُثِرَ عليه أثناء عمليَّاتِ التَّرميمِ الأخيرةِ؛ ممَّا يُبَرْهِنُ على قِدَمِ المسجد وما يحتويه من إرثٍ تاريخيٍّ كبيرٍ.

٣- أكَّدت الدِّراسةُ أنَّ بناءَ المسجدِ كان انعكاسًا لبيئةِ مدينةِ جِدَّة وطبيعة الأجواء الرَّطبة من حيث تخطيط المسجد المناسب لطبيعة المُنَاخ، وكذلك مواد البناء المستخدمة كالطِّين البحريِّ، والحجرِ المنقبيِّ، والأخشابِ.

٤- تبيَّن من خلال الدِّراسة وجود تَشابُهٍ في البناء بين مساجدَ جِدَّة التَّاريخيَّة من حيث تخطيط المسجد، وشكل المئذنة وموقعها، ومواد البناء المستخدمة، وهو ما حتَّمته البيئةُ وطبيعةُ الموقعِ.

٥- أوضحت الدِّراسةُ حرصَ الحكامِ والأمراءِ المسلمينَ واهتمامهم بالبناءِ والتَّعميرِ، والحفاظ على المساجد، ويظهر ذلك من خلالِ التَّطوُّرِ التَّاريخيِّ لمسجدِ الشَّافعيِّ على مرِّ العصورِ الإسلاميَّةِ، وهذا الاهتمامُ مازال مستمرًّا إلى وقتنا الحاليِّ.

٦-التَّوصِيَّات

نوصِي بالاهتمامِ بدِّراسةِ المواقعِ التَّاريخيَّةِ والأثريَّةِ، والَّتِي لمْ تأخذْ حقَّها من الدِّراسةِ، والبحثِ، والاهتمامِ بترميمها والمحافظة عليها، فهي عناصرُ مهمَّةٌ من عناصِرِ الجذبِ السِّياحيِّ الدَّاخليِّ والخارجيِّ.

واللهُ وَليُّ التَّوفيقِ

المصادر والمراجع العربية:

ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، (القاهرة: مطابع الشعب، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

باناجه، عبدالإله بن عبدالعزيز، تاريخ جدة من أقدم العصور حتى نهاية العصر العثماني، (ط١، مكة المكرمة: (د.ن)، ١٤٣٦هـ /٢٠١٥).

البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، (ط٣، الطائف: مكتبة المعارف، د.ت).

البكري، أبو عبيد عبدالله (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا (ط٣، بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

الثقفي، عبدالله بن زاهر، العمارة في مدينة جدة في العصر العثماني ٩٢٣-١٣٣٤هـ /١٥١٧-١٩١٦م ، (ط١، الرياض: دارة الملك عبد العزيز،١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).

الحضراوي، أحمد بن محمد (ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)، الجواهر المعدة في فضائل جدة، تحقيق: علي عمر، (ط١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢).

الحمدان، فاطمة عبدالعزيز، مدينة جدة الموقع، البيئة، العمران، السكان، (ط١، جدة: دار المجنمع للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

الخزرجي، علي بن الحسن (ت٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: عبدالله الحبشي، (ط١، صنعاء: مكتبة الإرشاد،١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (د.ت).

ابن سعد، محمد الزهري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

طرابلسي، محمد يوسف، جدة حكاية مدينة، (ط٢، جدة: د.ن،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

العبيدي، عبدالجبار منسي، الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، (ط١، الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط٤، بيروت: دار الساقي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

ابن فرج، عبدالقادر بن أحمد الشافعي (ت ١٠١٠هـ/١٦٠٢م)، السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة، تحقيق: علي محمد عمر، (د.ط، بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).

ابن فهد، جارالله محمد بن عبد العزيز بن عمر (ت٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م)، حُسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق: علي عمر، (ط١، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

ابن فهد، النجم عمر بن فهد بن محمد (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

اليافي، عدنان عبد البديع، جدة في أعين الرحالة، (ط١، جدة: د.ن،١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

المصادر والمراجع الأجنبية:

Hidaya Abbas, AL-Jami, AL- Atiq Oldest Mosque in Jidda, Journal of Islamic Thought and Civilization, V4, P.12.

القواميس والمعاجم والتراجم:

أمين، محمد محمد وإبراهيم، ليلى علي، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، (ط١، القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

الأنصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، (ط٤، جدة: دار المنهل للنشر، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).

البلادي، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، (ط٢، مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

توني، يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، (د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

الحموي، ياقوت، معجم البلدان (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، (ط٢، بيروت: دار صادر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج٢٦، ص ١٢٢.

الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت٨٢٣هـ/ ١٤١٥م)، القاموس المحيط، (ط ٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (د.ط، بيروت: دار صادر، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

الدوريات:

أحمد، هدايت الله نثار، المسجد العتيق يضئ جدة: مسجد الإمام الشافعي، مجلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س ٥٢، ع٦٠٤ ،١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

باناجة، عبدالإله، مساجد جدة التاريخية: مسجد الحنفي ومقصورة باناجة دراسة تاريخية حضارية، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، مج٢٠، ع١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

الجاسر، حمد، جدة القديمة وسكانها، مجلة العرب، مج ١٧، ع ١،٢، س ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

الدوسري، حمساء حبيش، جدة النشأة والتطور التاريخي، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، ع ١١، س ١٤٣٤هـ/ ٢٠٢١م.